رسالة ملكية إلى المشاركين في أشغال المناظرة الأولى حول التعليم الموسيقي

وجه صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني رسالة سامية إلى المشاركين في المناظرة الأولى حول التعليم الموسيقي التي انعقدت بالرباط أيام 5 و 6 و 7 ماي 1994.

وقد تلا الرسالة الملكية السيد محمد علال سيناصر وزير الشؤون الثقافية خلال حفل اختتام المناظرة.

وفي ما يلي نص الرسالة الملكية.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

حضرات السيدات والسادة

إننا سعداء أن تتم هذه الندوة في كنف رعايتنا ومغتبطون أن يلتئم هذا الجمع بمملكتنا وقد تهيأت لنا أسباب تقييم تراثنا الموسيقي وقرت عزيمتنا على بعثه وتوسيعه وترسيخه، ذلك أن التراث عموما والتراث الموسيقي خصوصا هو وديعة استودعنا إياها أسلافنا المنعمون فيجب علينا المحافظة عليها وإغناؤها حتى نرثها من بعدنا حية نابضة كل الأجيال المتعاقبة. فالحفاظ على الودائع من شيم النفوس الأبية والهمم العالية وهذا أمر يهتم به العالم المعاصر في اتجاهاته المختلفة لاهتمامه بالتراث البشري الهائل الذي نجد له في كل قطر من أقطار العالم ظلا من ظلال جناحه. وإذا كان المرء يكتشف سمو فكر المرء بقدر ما يتسامى فكره هو فإن هذه الحقيقة أصدق بالنسبة للشعوب وأجدر بها حينما تتخذ من تقدمها في العلم وسيلة لتثمين الابتكارات والإبداعات التي ارتقت اليها أمم من قبلها.

ولاغرو أنكم في هذا البلد الأمين تشعرون بما نوليه لفنون الموسيقى من عناية خاصة ولرجالها من حظوة بالغة ورعاية موصولة نظرا لأهميتها في ثقافتنا الوطنية وفي الثقافة العربية الاسلامية عامة. لذلك فإننا نحث النخبة النيرة من الأساتذة والمهتمين بهذا المجال على مواصلة الجهود لبلوغ النتائج التي من شأنها تحسين أساليب التلقين ورفع مستوى التعليم والسهر على جودة التكوين الموسيقي العام

في مجالات التلحين والعزف والأداء والتأليف وغيره. ويسعدنا أن تحتضن المملكة المغربية هذا اللقاء الذي تأمل أن يستفيد من مختلف المشارب ومتعدد المواهب وأن تكلل أعماله بالتوفيق والنجاح حتى يساهم في إبراز ما عرفت به مملكتنا التي بوأها الله موقعا وسطا وجعلها حلقة وصل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب وأرض تساكن وحوار وتفاهم ولقاء بين جميع الثقافات والحضارات.

حضرات السيدات والسادة

من المعطيات الجديرة بالتدبر أن تكون فنون الموسيقى لغة للتواصل بين الأمم والشعوب وأن تتجاوز رسالتها هذه الى إظهار التكامل الذي أبدعته مشيئة الخالق عز وجل، فجعلت في الكون المقدار الملائم من معايير الأشياء والتجانس التام في خاصيات الأجرام والتناسق في مميزات الأصوات مما دفع القدماء إلى اعتبارها ميدانا من اختصاص الراسخين في العلم والعارفين به وتلك فكرة أقرها مفكرو الإسلام ونبهوا على أن لكل صوت نغمة تصنعه وهيئة تخصه ونبرة تميزه، وقالوا في تفسير قوله عز وجل «يزيد في الخلق ما يشاء» إنه الصوت الحسن.

فقد استقطبت الحضارة العربية الاسلامية الأهمية الشاملة لهذه الفنون التي تؤثر في المرء، كما قال ابن رشد أكثر من الخطابة والبرهان وتحثه على الشجاعة والاعتدال، فجعلت لكل حالة لحنا خاصا بها ولكل ساعة من ساعات النهار نغمة معينة لها وظهر الولع بنظرية متكاملة حول تأثير هذه النغمات وعلاقة الطبوع الموسيقية المعروفة بالطباع البشرية والحالات النفسية والمشاعر المحددة وظهر أن الاستهلال مثلا يحث على الشجاعة والإقدام فيما تميز الاصبهان بنغمته الرقيقة حتى قيل ملائكة الرحمان يسبحون بالاصبهان.

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة الى العمل الجليل الذي قام به مفكرو الإسلام في بحثهم عن أكرم السبل لعلاج الأمراض النفسية والعقلية كالكندي والفارابي وابن سينا وابن باجة وغيرهم وتميز المغرب بتحقيق هذه الفكرة الرفيعة في مارستان مراكش ومارستان سيدي فرج بفاس حيث كانت الموسيقى من وسائل التطبيب وأساليب الترفيه على المرضى واستمر العمل بها على هذا الشكل الناجع طيلة العصور التالية كما اتخذت نموذجا يحتذى به في الميدان الذي أصبح اليوم بابا من أبواب الدراسات النفسية والطبية المتقدمة.

حضرات السيدات والسادة،

دخل الإسلام إلى المغرب وأخذ أهله كما هو معروف بمذهب الإمام مالك واتبعوا عمل أهل المدينة فوجدت تقاليد الغناء المتسمة بسماحة أهل الحجاز تبرلا لدى المغاربة واستحسانا عند مختلف فئاتهم لما عرفوا به من تفتح صوب الرقة والحسن علوما كانت أو صنائع أو فنونا لا سيما صناعة الموسيقى والغناء التي هي مرتاد السمع ومرتع النفس وربيع القلب فتواصت وامتزجت تقاليد الغناء الوافد من نصب وحداء زهزج بالعادات المحلية القديمة وأصبح الكل يؤدي وظائفه في مختلف المناسبات الاجتماعية ثم ظهر مع مرور الزمن النوع المغربي الخالص المعروف بالسماع واقترن ظهوره بالمناسبات الدينية وأعظمها مناسبة إحياء المولد النبوي الشريف، وقد تجلت مهارة الفنانين المغاربة وابتكاراتهم لديه طيلة الحقب والعصور.

وإلى جانب ذلك، كان تاليف الموسيقى وتلقينها دائما من مظاهر الحركة الفكرية والثقافية في بلادنا ويكفي أن نشير إلى ما ألفه ابن باجة المتوفى بفاس في عصر المرابطين وابن طفيل بمراكش على عهد الموحدين وابن الدراج السبتي في العصر المريني والمنجور في العهد السعدي، ثم ازدهرت هذه الحركة المباركة أيما ازدهار في ظل اجدادنا الميامين الذين اكتنفوها برعايتهم وهيئوا لها من التشجيع والعناية ما يذكر فيحمد واشتهر بالتدوين والتاليف على سبيل المثال عبد الرحمان الفاسي صاحب الاقنوم وأبو الحسن اليوسي مؤلف القانون والبوعصامي جامع ايقاد الشموع والفقيه الحايك التطواني الذي تدين له موسيقى الالة بحفظ تراثها إلى يومنا هذا وأتى بعدهم كما هو معلوم الفقيه المطيري والفقيه الجعيدي والفقيه البريهي وغيرهم ويكفي المغرب فخرا توفيقه بين العلم والفن والدين وأن شيوخ الموسيقى المغربية كانوا في الوقت ذاته علماء فقهاء.

وقد بلغ من ثراء الموسيقى المغربية أنه أصبح من العسير حصر أنواعها وأشكالها تفصيلا وإجمالا حيث نجد أصنافا من الموسيقى التقليدية الغنية تعبر عن اهتمام المغاربة بالبناء الفني وتنسيق الأنغام والايقاعات. فنجد في الموسيقى الشعبية أنواعا تتميز بها الانماط البدوية الأمازيغية كأحيدوس وأحواش وأغاني الروايس وأغاني الريف والأنماط البدوية المعربة كمختلف العيطات وموسيقى مناطقنا الصحراوية المعروفة بثرائها وتنوعها كما يجب التنبيه إلى دور الموسيقى

الأندلسية والسماع والمديح عند رجال الزوايا والصوفيين الذين اعتمدوها وسيلة من وسائل التربية الروحية والجمالية والذوقية وقد كان لتلك التقاليد العريقة أثر على مختلف المدارس الموسيقية منها المدرسة العبرية التي استعملت شعر ابن جبريول فكان له تأثيره الواسع الذي بلغ جبال البرانيس بل واجتازها إلى ما وراء ذلك. فالموسيقى المغربية تأخذ وتستنبط وتجدد وتتأثر وتؤثر منذ العهد القديم إلى اليوم حيث ما فتئت تتطور بتطور المحيط الوطني والعام شأنها في ذلك شأن أنشطتها الثقافية العامة التي يطبعها ويغنيها عنصر الانسجام داخل التنوع ومبدأ الوحدة في إطار التعددية.

حضرات السيدات والسادة

ومن أجل هذا عملنا على تأطير العمل الفني بإحياء مهرجاناته ودعم ملتقياته والتركيز فيه على مميزات كل جهة من الجهات فأصدرنا أوامرنا لإقامة مراكز جهوية لدراسة التقاليد الشعبية والفنون الموسيقية وتوثيقها بمختلف الوسائل السمعية والبصرية حفاظا منا على التراث الموسيقي الوطني وتشجيعا على الخلق والإبداع مع المحافظة على هويتنا الموسيقية وعدم الانسياق وراء التيارات المبتذلة العابرة وانطلاقا من تربيتنا الموسيقية الأصيلة التي تعتمد على سائر الوان ونماذج هذا التراث فإن باستطاعتنا أن نلج المعاصرة دون تناقض مع ماضينا المجيد والحافل.

إن إيماننا بقدرة المغرب على الاستمرار في الأخذ والعطاء وفي التبادل الذي ميزه وضمن له بين الامم والشعوب المتحضرة وجودا مرموقا يجعلنا نعتبر الفنون الموسيقية ميدانا نموذجيا للنمو الثقافي الشامل الذي نسعى إليه ونجتهد لتحقيقه وهذا هو المبدأ العام الذي استرشدناه عندما أصدرنا تعليماتنا لوزيرنا في الشؤون الثقافية من أجل وضع برنامج يعالج قضايا التعليم الموسيقي من خلال تشخيص أوضاعه ودراسة حالة الأطر الساهرة عليه من معلمين وأساتذة ومربين والتنسيق في هذا القطاع مع قطاعات التربية الوطنية والشبيبة والرياضة والجماعات المحلية.

وتقتضي هذه المسؤولية الملقاة على عاتق الوزارة الوصية على الفنون وشؤون الفنانين بالدرجة الأولى تزويد جميع مؤسسات التربية الموسيقية بالأطر الجيدة الكفاة من أجل ذيوع الثقافة الموسيقية وتوفير وسائل التعريف بفنونها وتدريسها

في المعاهد العليا المعدة لرفع مستوى المكونين والمبدعين، وفي هذا الإطار يجب ضبط المراحل والأهداف وإعطاء قضية إصلاح المعهد الوطني للموسيقى ما تستحقه من عناية وأولوية وإتمام البناية اللائقة به بتعاون بين الوزارة المعنية وولاية الرباط والجماعات الحضرية بها حتى يرتقي هذا المعهد الى درجة معهد عال للفنون الموسيقية.

حضرات السيدات والسادة،

هكذا تكون قد فتحنا مجالات جديدة لتحريك الفنون ونشر تعليمها للناشئة والسهر على الجودة وتميزها كما نكون قد وضعنا الأسس اللازمة من أجل اختبار منافع حديثة وإثارة المواهب وتشجيع المنتجين والمبدعين والشعراء والملحنين والعازفين والمغنين والنقاد والمستمعين أن العمل الفني الجاد الرصين جدير بكل دعم وسند في عهد السمعيات البصرية وتطوراتها المستمرة وتوجهات الاختصاصات الفنية المتباينة ونحن واثقون من أننا قادرون على الاستيعاب والابتكار والخلق والإبداع في ميدان قال عنه الحكيم الصيني كونفوشيوس: «إذا شئت أن تقف على ما بلغته الأمم في مضمار الحضارة فانصت الى موسيقاها».

لذلك نبارك لكم هذا الملتقى وندعو له بكامل التوفيق.

أعانكم الله وسدد خطاكم وأنجح أعمالكم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.